النظامة الإلكترونية
تحصي جذور مفردات اللغة العربية

الدكتور إبراهيم أنيس
عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة

جاء في كتاب « بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز » تأليف الشيخ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي المتوفى سنة 817 هـ ، روايات متعددة ، ومتباينة في بعض تفاصيلها ، برغم انها جميعا تدور حول الاحصاءات القرآنية من حيث عدد السور والآيات والكلمات والحروف الهجائية ... الخ .

وتنسب تلك الجهود الاحصائية الاستقرائية الى بعض من مشهوري العلماء والقراء الاوائل، بل يبدو من بعض تلك الروايات ان العلماء والقراء قد تصدوا لتلك العملية الاحصائية منذ عهد الحجاج بن يوسف ، او ربما منذ ايام عبد الله بن مسعود .

وظلت تلك الاحصاءات تتناقل بعد ذلك جيلا بعد جيل ، ويتلقفها المفسرون والدارسون ، وربما يكون منهم من حاول تحقيقها فأعاد الاحصاء والاستقراء حتى انتهت لدى المتأخرين من العلماء على تلك الصور المتعددة والروايات المختلفة التي نراها في كتاب كالبصائر للفيروزابادي ، وفي حاشية الجمل على تفسير الجلالين منسوبة للامام النسفي ، واخيرا نجدها في كتاب الكشكول للعاملي وقد أصابها كثير من الخلط والاضطراب .

واوضح ما ظهر فيه الخلاف بين تلك الروايات عدد الحروف الهجائية في القرآن الكريم برغم أن القرآن منذ نزل على نبينا صلى الله عليه وسلم هو هو لم يزد حرفا ولم ينقص حرفا ، حفظته الصدور ، وسطر في المصاحف ، وبذلك تحقق قوله سبحانه « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

ولما ظهر لعلمائنا المتأخرين اختلاف عدد الحروف في تلك الروايات حاولوا تفسير ذلك او تعليله فيقول صاحب البصائر : « واما الحروف فان بعض القراء عد الحرف المشدد حرفين فيكون على هذا القرآن عنده اكثر » !! غير ان مثل هذا التعليل في رايي ، لا يكفي في تسويغ التعدد في الروايات واختلاف الارقام مع كل منها ، اذ يذكر الفيروزابادي في كتابه البصائر ثمانية ارقام مختلفة لمجمل عدد الحروف في القرآن مؤكدا ذكرها وضبطها بالكتابة أي لا يكتفي بالرقم الحسابي .

وتلك هي الروايات التي جاءت في كتاب البصائر مع الاكتفاء هنا بذكر السند في الرواية ، الاولى وحدها رغبة في الايجاز :

1) واخبرنا الحسن ، انا ابو الحسن ، انا ابن مسلم ، انا وكيع ، انا اسماعيل ابن مجمع ، انا محمد بن يحيى ، انا عبد الملك بن عبد الرحمن ، حدثني ايوب ، وابو عكرمة ، عن مرجى ، عن جعفر بن سليمان ، عن مالك بن دينار وراشد وغيرهما قالوا : قال لنا الحجاج: عدوا لي حروف القرآن ، ومعنا الحسن ، وأبو العالية، ونصر بن عاصم ، فحسبنا بالشعير واجمعنا على انه ثلاثمائة الف حرف وثلاثة وعشرون حرفا ، وفي رواية

عطاء بن يسار ثلاثمائة الف حرف وستون الفا وثلاثة وعشرون حرفا . (بالأرقام : 023 300 ، 023 360).

2) عن ابن مسعود انه قال : وحروفها ثلاثمائة الف حرف وستمائة حرف وسبعون حرفا . (300 670)

3) عن أبي معاذ النحوي : هو ثلاثمائة الف حرف واحد وعشرون الف حرف ومائتا حرف . (200 361)

4) عن عطار بن يسار : ثلاثمائة الف وثلاث وعشرون الفا وستمائة واحدى وسبعون حرفا . (671 323)

5) حسبوا حروف القرآن فعرضوه على على مجاهد وسعيد بن جبير فلم يخطئوهم . فبلغ ما عدوه : ثلاثمائة الف حرف وثلاثة وعشرون الف حرف واحدا وسبعين حرفا . (071 323) .

6) عن ابي حمزة الزيات وابي حفص الخراز قالا : حروف القرآن ثلاثمائة الف حرف وثلاثة وسبعون الف حرف ومائتان وخمسون حرفا (250 373) .

7) عن يحيى بن الحارث الذماري قال : عدد حروف القرآن ثلاثمائة الف حرف واحد وعشرون الف حرف ومائتا حرف وخمسون حرفا (250 321)

8) عن راشد ابى محمد وكان شهد الحجاج حين ميز القرآن قال : وحروفه ثلاثمائة الف حرف وعشرون الف حرف ومائة وثمانية وثمانون حرفا (188 320) .

وهكذا نرى ان هذه الروايات الثماني لم تتفق الا فى رقم ثلاثمائة الف ، اي لم يبلغ الخلاف بينها حدود مئات الألوف ، ولكن بلغ حدود الآلاف ، بل بلغ فى بعض الروايات حدود عشرات الآلاف !!

ويذكر القرطبي فى تفسيره ثلاث روايات لجملة عدد الحروف فى القرآن الكريم لا تشترك مع اي من الروايات السابقة . والارقام التي جاءت فى روايات القرطبي هي : (180 321 ، 015 323 ، 740 340).

ومع ما ذكره الفيروزابادي فى تعليل ذلك الخلاف نود ان نضيف الى قوله ان الذين قاموا بالاحصاء فيما مضى كانوا فيما يبدو، فريقين : فريق كانوا يعدون عن طريق السمع ، اي كلما سمعوا من قارىء حرفا واتضح فى اسماعهم اضافوا شعيرة ، وفريق آخر كانوا يعدون عن طريق النظر ، اي كلما ابصروا فى المصحف حرفا مكتوبا اضافوا شعيرة . وتظهر ثمرة الخلاف بين هؤلاء وهؤلاء حين نتذكر أن بعض الحروف تسمع ولا تكتب مثل كثير من الفات المد وبعض واوات المد وياءات المد والهمزات ... الخ . وان بعض الحروف تكتب ولا تسمع كهمزة الوصل والالف بعد واو الجماعة .الخ. ومن هنا يمكن ان نتصور وقوع الخلاف فى العدد ، وان كان من المستبعد ان يصل ذلك الى عشرات الآلاف .

غير ان الخلاف فى جملة عدد الحروف لم يزعجنا بقدر ما ازعجنا وادهشنا ان يقع الخلاف بين الروايات فى عدد كل حرف على حدة . فلم تتفق روايات كتاب البصائر الا فى عدد الطاءات ، الظاءات . ولم تتفق مع روايات النسفي الا فى عدد الظاءات فقط . واما ما جاء فى الكشكول للعامري فلا يتفق فى اي حرف مع روايات الفيروزابادي او النسفي . وقد اكتفى صاحب الكشكول بذكر الارقام ولم يضبطها بالكتابة ، ولذلك جاءت نموذجا عجيبا من الاضرابات والخلط .

وحين نستعيد من الحروف تلك التي يحتمل فى بعضها ان تكتب ولا تسمع ، او التي تسمع ولا تكتب كالالفات والهمزات والواوات والياءات ، ونكتفي بمقارنة العدد لكل حرف من الحروف الاخرى التي لا يصيبها شيء من ذلك ، لا نكاد نرى مسوغا لوقوع خلاف فى عدد حروف كالراءات او الباءات مثلا !!

واذا استعرضنا مختلف الروايات حول اعداد الحروف لمسنا كيف ان القدماء من العلماء كانوا فى شبه صراع مع عدد الحروف ، يبذلون الجهد ، ويحاولون التحقيق ما وسعهم ذلك ، لان الامر يتصل بالمعجزة الكبرى للاسلام ، وبكتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ثم مع هذا لا يكادون يجمعون على رأي حاسم قاطع بصدد عدد اي حرف من القرآن الكريم الا الظاء .

وهناك صراع احصائي آخر نلحظه بين المتقدمين من اصحاب المعاجم ، فقد تبين لهم منذ عهد الخليل بن احمد ان عدد الكلمات التي يمكن عقلا او نظريا ان يتالف من حروف الهجاء الثمانية والعشرين يكاد يبلغ ، بل يجاوز حدود اثني عشر مليونا ، على اساس ان الكلمة العربية قد تكون ثنائية الاصول ، وقد تكون ثلاثية الاصول ، وقد تكون رباعية الاصول او خماسية الاصول . كما

تبين لهم أن عدد المستعمل من تلك الصور المحتملة لا يكاد يجاوز مائة الف ، والباقي مهمل لا يرد فى اللسان العربي .

وظهر اثر ذلك فى المعاجم الاولى للغة العربية ككتاب العين المنسوب للخليل ، والجمهرة لابن دريد ، والتهذيب للأزهري ، ففي كل من هذه المعاجم نقرأ ـ ولا سيما مع الجذور الثنائية والثلاثية ـ كلمتي المستعمل والمهمل لبيان ما ورد فى اللغة وما لم يرد .

وحاول ابن جني فى كتابه الخصائص (1) تفسيرا لاهمال ما اهمل من صور الجذور ، وجاءنا بما سماه الاستثقال !! فكثيرا ما يردد هذه الكلمة ، وكأنما قد تصور ان مؤتمرا قد عقد بين القاطنين باللغة العربية ؛ وانهم اهتدوا خلال مناقشات هذا المؤتمر الى الحكم على استثقال الكثرة الغالبة من الجذور ، فكأن الامر فى تصوره كان ارادياً متعمدا ، فهو يردد فى أحيان كثيرة قوله : ان العربي ينفر من اجتماع كذا مع كذا من الحروف !! ولما وجد أن بعض الجذور المهملة لا يتسم بالاستثقال أو ما يشبه الاستثقال مثل المادة « لجع » قال عنها انها اهملت حملا على ما اهمل من تراكيب الرباعي والخماسي !!

فلنستمع الى نص كلام ابن جني فى الخصائص : (اما اهمال ما اهمل مما تحتمله قسمة التركيب فى بعض الاصول المتصورة أو المستعملة فأكثره متروك للاستثقال ، وبقيته ملحقة به ومقفاه على اثره ، فمن ذلك ما رفض استعماله لتقارب حروفه مثل :« سص، ظس ، ظث ، ثظ ، ضش ، شض » ، وهذا حديث واضح لنفور الحس عنه والمشقة على النفس لتكلفه ، وكذلك نحو « قج ، جق ، كق ، قك ، كج ، جك » . وكذلك حروف الحلق هي من الائتلاف أبعد لتقارب مخارجها عن معظم الحروف اعني الفم ، فان جمع بين اثنين منها قدم الأقوى على الأضعف نحو : « اهل ، احد ، اخ ، عهد ، عهر » . وكذلك متى تقارب الحرفان لم يجمع بينهما الا بتقديم الاقوى منهما نحو : « ارل ، وتد ، وطد » . ويدل على ان الراء اقوى من اللام ان القطع عليها اقوى من القطع على اللام ، وكان ضعف اللام انما اتاها لما تشرب به من الغنة عند الوقوف عليها !! وكذلك لا تكاد تعتاص اللام ، وقد ترى الى كثرة اللثغة فى الراء فى الكلام . وكذلك الطاء والتاء هما أقوى من الدال ، وذلك لأن جرس الصوت بالتاء والطاء عند الوقوف عليهما اقوى منه واظهر عند الوقوف على الدال وانا ارى أنهم انما يقدمون الاقوى من المتقاربين من قبل ان جمع المتقاربين يثقل على النفس ، فلما اعتزموا النطق بهما قدموا اقواها لأمرين : احدهما أن رتبة الأقوى ابدا اسبق واعلى ، والآخر انهم انما يقدمون الأثقل ويؤخرون الأخف من قبل ان المتكلم فى أول نطقه اقوى نفسا واظهر نشاطا فقدم أثقل الحرفين وهو على أجمل الحالين كما رفعوا المبتدأ لتقدمه فأعربوه بأثقل الحركات وهي الضمة ، وكما رفعوا الفاعل لتقدمه ونصبوا المفعول لتأخره ... الخ .) الى ان يقول ابن جني فى آخر هذا الفصل : (وتخطوا بذلك الى اهمال بعض الثلاثي لا من أجل خفاء تركيبه بتقاربه نحو : « سص ، صس » لكن من قبل انهم حذوه على الرباعي كما حذوا الرباعي على الخماسي ؛ الا ترى ان « لجع » لم يترك استعماله لثقله من حيث كانت اللام اخت الراء والنون ، وقد قالوا : « نجع فيه ، رجع عنه » ، واللام اخت الحرفين ، وقد اهملت فى باب « اللجع » فدل على أن ذلك ليس للاستثقال) انتهى كلام ابن جني !!

وكلما مررنا بتلك الاشارات السريعة التي نصادفها فى ثنايا كتب القدماء من المستعمل والمهمل من جذور اللغة ، أو عن توالي الحروف وما يجتمع منها وما لا يجتمع ، احسسنا انهم كانوا فى شبه صراع رهيب ومحاولة يائسة لعلهم يصلون الى نسبة صحيحة فى الاحصاء او الاستقراء . فاذا روي عن الخليل انه قال: (ليس فى كلام العرب شين بعد لام ولكن قبلها ، كلها قبل اللام) ، رد عليه الأزهري قائلا : (وقد وجد فى كلامهم الشين بعد اللام، قال ابن الاعرابي وغيره :رجل « لشلاش اذا كان خفيفا » ، ثم يروي لنا بعض المعاجم ايضا كالقاموس المحيط للفيروزابادي أن الفعل « لشا » معناه خس بعد رفعه !!

ومن الاشارات السريعة التي جاءت فى كتب القدماء بصدد نسبة شيوع الحروف فى اللغة العربية قول ابن دريد فى مقدمة معجمه الجمهرة (واعلم أن اكثر الحروف استعمالا عند العرب : الواو ، الياء ، الهمزة ، واقل ما يستعملون لثقلها على السنتهم : الظاء، ثم الذال ، ثم الثاء ، ثم الشين ، ثم القاف ، ثم الخاء ، ثم الغين ، ثم النون ، ثم اللام ، ثم الراء ، ثم الباء ، ثم الميم) !!

---

(1) جـ 1 ص 53 .

وأهم ما نلاحظه على اشارة ابن دريد المقضبة انها لم تتضمن الا نصف حروف الهجاء ، وان النسخ المخطوطة لهذا المعجم قد اختلفت فى شأن حرفين من الحروف المذكورة هنا ، فبعضها يذكر الدال بدلا من الذال ، ويذكر العين بدلا من الغين !!

واما الجاحظ فبرغم كثرة مؤلفاته وضخامتها لا نرى له سوى سطر واحد فى البيان والتبيين يقرر فيه أن : الياء ، اللام ، الألف ، الراء ، أكثر الحروف ترددا من غيرها ، وان الحاجة اليها اشد !! ثم يذكر لنا كيف اهتدى الى ذلك فى تعبير طريف يقول فيه : (واعتبر ذلك بان تأخذ عدة رسائل وعدة خطب من جملة خطب الناس ورسائلهم ، فانك متى حصلت جميع حروفها وعددت كل شكل على حدة علمت ان هذه الحروف الحاجة اليها اشد) !!!

وجاء فى مقدمة لسان العرب لابن منظور : (واما تقارب بعض الحروف من بعض وتباعدها فان لها سرا فى النطق يكشفه من تعناه كما انكشف لنا سره فى حل المترجمات لشدة احتياجنا الى معرفة ما يتقارب بعضه من بعض . فان من الحروف ما يتكرر ويكثر استعماله وهو : ا ، ل ، م ، ه ، و ، ى ، ن . ومنها ما يكون تكراره دون ذلك وهو : ر ، ع ، ف ، ت ، ب ، ك ، د ، س ، ق ، ح ، ج . ومنها ما يكون تكراره اقل من ذلك وهو : ظ ، غ ، ط ، ز ، ث ، خ ، ض ، ش ، ص ، ذ . ومن الحروف ما لا يخلو منه اكثر الكلمات حتى قالوا ان كل كلمة ثلاثية فصاعدا لا يكون فيها حرف أو حرفان منها فليست بعربية وهي ستة احرف : ر (1) ، ب ، م ، ن ، ل ، ف . ومنها ما لا يتركب بعضه مع بعض اذا اجتمع فى كلمة الا ان يقدم ، ولا يجتمع اذا تاخر وهو : ع ، ه ، فان العين اذا تقدمت تركبت واذا تاخرت لا تتركب ، ومنها ما لا يتركب اذا تقدم ويتركب اذا تاخر وهو : ض ، ج ، فان الصاد اذا تقدمت تركبت واذا تاخرت لا تتركب ، ومنها ما لا يتركب بعضه مع بعض لا ان تقدم ولا ان تأخر وهو : س ، ث ، ض ، ز ، ظ ، ص ، فاعلم ذلك) .

واما اشهر ما عرف عن علماء البلاغة بهذا الصدد فنراه فى اثناء حديثهم عن التعقيد اللفظي ، واكثره تفصيلا ما جاء فى عروس الأفراح للسبكي (2) ، ونقتبس هنا بعض فقراته :

(تنبيه : رتب الفصاحة متقاربة ، وان الكلمة تخف وتثقل بحسب الانتقال من حرف الى حرف لا يلائمه قربا أو بعدا) .

ثم يذكر المؤلف الحالات الست للجذر الثلاثي على أساس ان الحرف قد يكون مخرجه من الحلق كالعين مثلا ، أو مخرجه من الفم كالدل مثلا ، أو مخرجه من الشفتين كالباء مثلا . فالحروف الثلاثة ع ، د ، ب ، يمكن أن يتألف منها ست صور هي :

ع د ب ، ب د ع ، د ب ع ، ع ب د ، د ع ب ، ب ع د . ثم يتحدث المؤلف عن اكثر هذه الصور شيوعا واقلها شيوعا فيقول ما نصه : (اذا تقرر هذا فاعلم ان احسن هذه التراكيب واكثرها استعمالا ما انحدر فيه من الأعلى « يريد حرفا مخرجه الحلق » الى الأوسط « يريد حرفا مخرجه الفم » الى الادنى « يريد حرفا مخرجه الشفتان » (3) ، ثم ما انتقل فيه من الأوسط الى الادنى الى الاعلى ، ثم من الاعلى الى الادنى الى الاوسط ، وما انتقل فيه من الاوسط الى الاعلى الى الادنى فهما سيان فى الاستعمال وان كان القياس يقتضي أن يكون ارجحهما ما انتقل فيه من الاوسط الى الاعلى الى الادنى . واقل الجميع استعمالا ما انتقل فيه من الادنى الى الاعلى الى الاوسط) . انتهى كلام عروس الافراح . والمؤلف فى كل الحالات السابقة يريد بقوله الاعلى حرفا مخرجه الحلق ، وبالادنى حرفا مخرجه الشفتان ، وبالاوسط حرفا مخرجه الفم .

واخيرا وليس آخرا تلك الضوابط المشهورة التي عني بها أمثال « الجواليقي » فى كتابه « المعرب من الكلام الاعجمي » ، والشهاب الخفاجي فى كتابه « شفاء الغليل » حين يشار فى هذين الكتابين الى ما يمكن أن يعد علامات لتمييز الكلمة العربية من الكلمة الأعجمية وهي :

(1) لا تجتمع الجيم والقاف فى كلمة عربية ، الأصل ، ولذلك تعد كلمة مثل « المنجنيق » من الالفاظ الأعجمية .

---

(1) ذكرت فى المعجم على انها « دال » ومن المؤكد انه تصحيف .
(2) شروح التلخيص جـ 1 ص 94 ، 95 .
(3) لعل هنا نقصا فى النص وتكملته « أو عكسه من الادنى الى الأوسط الى الاعلى » . وهذه التكملة لكن تتمم الصور الست للثلاثي .

(2) لا تجتمع الصاد والجيم فى الكلمات العربية ، فمثل « صولجان » مما اقترضه العرب ، وكذلك كلمة « الجـــص » .

(3) لا تقع النون وبعدها راء فى اللفظ العربي ، فمثل « نرجس » كلمة أعجمية .

(4) لا تكون الزاي بعد دال فى كلمة عربية ، فمثل « مهندز » كلمة اعجمية ، وهي الكلمة التـــي تغيرت فيما بعد حتى صارت على الصورة المألوفة الآن « مهندس » .

(5) لا تجتمع الزاي أو الذال مع السين ، فكلمـــة « ساذج » معربة عن الفارسية .

(6) لا تقع الطاء مع الجيم فى كلمة عربية ، ولذلك عدت كلمة « الطاجن » أعجمية .

(7) لا تخلو الكلمة العربية حين تكون رباعية الاصل أو خماسية الاصل من حرف من حروف الذلاقة وهي : اللام ، الراء ، النون ، الميم ، الفاء ، الباء ، فيما عدا كلمة « عـسجد » بمعنى الذهب .

اما بعد : فازاء كل ما تقدم هنا من نصوص وردت فى كتب القدماء كنت الى عهد قريب اشعر بالدهشة والحيرة ، واتمنى لو اتيحت لنا فرصة لاعادة الاحصاء والاستقراء عن طريق تلك الآلات الحاسبة الحديثـــة التي اشتهرت باسم العقل الالكتروني أو«الكومبيوتر»

ثم حانت الفرصة فى العام الماضي حين دعتني جامعة الكويت لزيارة كانت برغم قصر زمنها ، مباركة فى ثمارها . فقد اتصلت بأستاذ الفيزياء المصـــري والمعار لجامعة الكويت الدكتور علي حلمي موســـى وكنت اعلم انه من امهر المتخصصين فى استخـــدام الكومبيوتر . وعقدنا معا عدة جلسات علمية شرحت فيها فكرة الاحصاءات اللغوية واهميتها فى البحـــث اللغوي ، ثم كان أن اتفقنا على البدء بدراسة احصائية لجذور اللغة كما جاءت فى معجم الصحاح للجوهري .

ووضع استاذ الفيزياء ما يسمى فى استخـدام الكومبيوتر بالبروجرام ، وشحن ذاكرة الكومبيوتـــر بنصوص المعجم ، ثم استملى ذلك الجهاز العجيـــب فاملى عليه نتائج احصائية رائعة نسقت فى عشرات من الجداول ، وبذلك تحقق ذلك العمل العلمي الرائد الذي سعدت بأن يكون لي فيه حظ التوجيه والارشاد.

وطبعت جامعة الكويت تلك النتائج الاحصائية فى كتيبين تحت عنوان « دراسة احصائية لجـــذور مفردات اللغة العربية » ، ووزعتها على كل اعضـــاء المجامع اللغوية فى العالم العربي ، وعلى اقـــام اللغات والرياضيات فى الكليات الجامعية .

وهكذا نرى أن اصحاب العلم الحديث قد قالوا كلمتهم بصدد الاحصاء اللغوي ، وبقـــي علينا نحـــن اللغويين أن نفيد من تلك الاحصاءات فى بحوثنا ، ولا اشك لحظة فى أن اللغوي الحديث سيهتدي عن طريق تلك الاحصاءات الى تفسيرات جديدة واصيلة لكثير من ظواهر لغتنا العربية ، واعمل الآن جاهدا رجـــاء الاهتداء الى بعض آثار الكومبيوتر فى البحث اللغوي.

وبالله التوفيق .